دور الأديان السماوية في بناء الشخصيّة عند مسلمة أهل الكتاب ـ دراسة في الأنثروبولوجية الثقافية

أ. صالح سعدون
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـقسنطينة

الملخّص:

يتناول هذا المقال أثر الأديان التوحدية على عملية تشكيل الهوية الاجتماعية والثقافية عند المسيحيين والمسلمين واليهود. واخترت تميم الداري كنموذج للدراسة.

هذه المسألة شغلت فكر الفيلسوف واللاهوتي والمفكر، حيث تطرح سؤال التأثير بين الأديان، وما دور الخلفية الفكرية اليهودية والمسيحية كديانات سابقة للهوية، وما يحصل للشخص بعد تحوله إلى الإسلام، وهل يمكن للمجتمع الديني المسلم أن يرحب ويتأقلم بسهولة في حياته الجديدة، مع إمكانية المحافظة على هويته السابقة. وقد استخدمت المنهج الاستقرائي والتحليلي مع حالة تميم الداري –رضي الله عنه–.

Abstract:

This present dissertation deals with the affects of moncetheist Religions on the process of the identity formation or the socio-cultural religions person a of cristian , muslims and jews.

We utilized tamim-edhari as a case study.

These case of this great philosopher and theology thinker poses the question of inter-religions influence can former Christian jew keys his former religions identity, when he gets converted to islam surthermore , can the man religions community easily welcome the new boim muslim, who can preserve his former identity.

On dissertation uses, induction, deduction, discourse analyses and comparison in order to prove that the dialogue between civil grative is possible , under conditions displayer by the case of tamim-edhari.

المقدمة:

من خلال هذا البحث: ما هي أهم الأوجه التي خالف أو وافق فيها الإسلام الأديان السابقة له ؟، وهل للأديان السماوية أثرٌ واضحٌ في بناء شخصية من أسلم من أهل الكتاب –اليهود والنصارى– الذين كان لهم باعٌ في العلم بأسرار اليهودية والمسيحية، واطّلاعٌ على كتبها المقدسة ونسخها الأصيلة كتميمٍ الدّاري وعبد الله بن سلاّم وكعب الأحبار.

أوّلا: إشكالية البحث:

1) هل المسيحية التي كان تميمٌ يعتنقها هي التي كان عليها المسيحُ عليه السلام ؟، أم أن التبديل قد مسّها .؟

2) هل يطوّر الفكر الإسلامي نظرياته بناءًا على ما توصلت إليه الثقافات والديانات السالفة من أفكار ومعتقداتٍ ؟، أم أنه يستقي نظرياته من عنده ؟.

3) ما هي الضوابط التي تحدد الأخذ عن السابقين من أصحاب الفلسفات والنِّحَلْ، وهو الذي يدخل فيما يُعرف بحوار الحضارات والثقافات، أو عدمه؟.

4) وهل للأديان السّابقة لليهودية والمسيحية أثرٌ في بناء الفكر الفلسفي لها ؟.

ثانيّا: أهميّة الموضوع .

تكمن أهمية الموضوع في أنّه أحد المجالات الحيوية التي يمكن أن تبيّن شبكة العلاقات الثقافية والدّينية المعقّدة، التي تشكّلت بفعل نزول الأديان السماوية المتسلسل، والذّي ترك رواسب ثقافية اعتقادية تأثّر بها الإنسان المعاصر لها، فمنحته شخصية غير محدّدة المعالم دينيا، ممّا جعل المستشرقين يدّعون أنّ الإسلام صنيعة يهودية، وليس خاتمًا ناسخًا ومكمّلاً لما سبقه، متحججين بأنّ مسلمي أهل الكتاب هم من نقل ثقافات الأقدمين إلى الإسلام .

ثالثا: أهداف الموضوع:

خدمة الأنثروبولوجية الدّينية في بيان أهمّ مسائل مقارنة الأديان وأعقدها، وهي: ما إذا كانت هذه الرسالات وحدةٌ متكاملة كما يراها المستشرقون ومن على شاكلتهم، أم هي وحدةٌ كما يراها الإسلام كثقافةٍ ودين ؟ .

رابعا: أسباب اختيار الموضوع:

إنّ أهمّ سببٍ دعاني لاختار هذا الموضوع هو:

حساسيته، وضرورته الملّحة، مع الحاجة الماسّة إليه، ومثلُه يخدم حوار الحضارات بشكله الحقيقي العلمي واللازم أيضاً، كما يُشكِّل لبنةً مهمة في بناء صرح الأنثروبولوجية الدّينية التي يمكن أن تضاف إلى فروع علم الإنسان الثقافي، والتي ستلقي مزيدا من الضوء على ما يسمّى بوحدة الدّين، التي خلقت شرخا واسعا بين دعاته والرافضين له. كما سيلقي بضلاله على حقيقة التبادل الثقافي بين الأديان السماوية وما يمكن أن يحدثه من أثر في الإنسان .

خامساً: المنهج المستخدم:

المنهج التحليلي: ويظهر هذا المنهج في تناول النصّ والعمل على تحليل معانيه وتذليل مبانيه.كما اعتمدتُ في التهميش على ذكر المرجع، ثمّ مؤلّفه، ثمّ الجزء والصفحة، وبعدها دار النشر، وسنة النشر، وأخيرا رقم الطبعة،

واعتمدتُ على المنهج المعروف في حالة الاعتماد على نفس المرجع بقولي: "المرجع نفسه"، أو "المرجع السابق"، أو "المرجع نفسه والصفحة نفسها "كما هو معروف. ولم أبني قائمة المراجع على الكتب كلٌّ حسب نوع التخصص، أو بحسب الترتيب الأبجدي، بل وضعته بالترتيب حسب الاعتماد على المرجع في أثناء كتابة البحث ماعدا المصادر الأولى مثل: القرآن الكريم، والكتاب المقدّس.

كما أنّني اعتمدت على أكثر من نسخة في المرجعٍ الواحد، لكنني تغاظيت عن ذكره خشية الإطالة إلاّ في موضعٍ واحد، وبعضُ المراجع لم أذكرها لأنّني استوحيت منها فكرةً، أو أنّها لا تعطيني سوى كلمة أو كلمتين إلاّ في موضعٍ واحدٍ أو اثنين.

تعريف الشخصية: ذهب جوردن ألبورت إلى أنّ كلمة شخصيّة تشبه إلى حدٍّ كبير ''برسونالييتيس'' في اللاّتينية القديمة، فقد كان لفظ ''برسونا'' وحده هو المستخدم وأوضح ألبورت في كتابات ''سيثرون'' أربعة معانٍ مختلفة للشخصيّة وهي:[1]

- مجموع الصّفات الشخصيّة .
- الفرد كما يظهر للآخرين .
- الدّور الذّي يقوم به الفرد في الحياة .
- الصّفات التّي تشير إلى المكانة والتقدير .

ولفظ ''الشخصيّة ''في العربية مشتق من الفعل ''شَخَصَ''، وقد جاء في الأساس[2]: {ومن المجاز شخْصُ الشيء أي: عينه}، ويلوح أنّ المقصود بالشخصيّة في اللّغة هو ما بعين الفرد .

وأوضح روبرت أنّ مصطلح الشخصية اتّخذ معانٍ كثيرة. وهناك تأكيدٌ بأنّ لمفهوم الشخصية سماتٌ منها:

- الفرد يشترك في خصائصه بشكل عام مع الآخرين .
- كل فرد يتميّز عن الآخرين على التركيبة الفريدة لهذه الصّفات وعلى الدرجة التي يظفر بها .

وكلمة الشخصيّة في اللاتينية تعني القناع الذي كان يرتديه الممثّلون أيّام الإغريق في المهرجانات وفي المواقف التمثيليّة في إخفاء معالم شخصياتهم الحقيقيّة .

وهي من بين الموضوعات ذات الاهتمام الكبير في علم النّفس الحديث[3]

وللشخصيّة مكوّنات هي:[4].

---

[1]- الشخصيّة وسماتها، د. عبد المنعم الميلادي، ص 31.

[2]- الأساس للزمخشري، وهو كتاب في المصطلحات اللّغوية العربية .

[3]- السّلوك وبناء الشخصيّة بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، د. إبراهيم محمد السرخسي، ص11.

[4]- المرجع نفسه، ص145، والمرجع السابق ص13.

- الوراثة أو الفطرة البيولوجية.
- البيئة الجغرافية، الثقافية، والاجتماعية.

أهل الكتاب:

إن المقصود بأهل الكتاب هم أولئك المتديّنون من اليهود أو النصارى الذين كانوا علماء في الدّين الذي ينتمون إليه، وهذا ينطبق على من يسمّى بالمهتدين قديماً، وأنبّه إلى أنني لم أعثر على تعريفٍ علميٍّ لهذه اللفظة أو مؤلّفات بهذا العنوان، وقد استخرجت هذا المفهوم من قراءاتي الكثيرة لنصوص التاريخ والسيرة النبوية، والمفهوم المذكور لا ينطبق سوى على أهل الكتاب الذين أسلموا في عهد النبوّة، وكانوا عالمين بالكتب المقدّسة بل وواضعين أيديهم على أهمّ مصادرها الأصلية، أعلاهُ، وهؤلاء يُعدُّون على الأصابع، وهم: كعب الأحبار، وعبد الله بن سلاّم، ووهب بن منبّه، ومُخيريق، وتميم بن أوس الداري؛ وأمّا الذين جاؤوا بعدهم في العصور الإسلامية التالية لعهد النبوة فهم كثيرون جدّاً وقد عقدت في حقّهم البحوث والدراسات، أذكر على سبيل المثال أطروحة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للدكتور: محمد بن عبد الله السحيم[5]، ومن الجدير بالذكر أنه لم يعرِّف مفهوم أهل الكتاب، إذ أنّه ركّز على بيان سيّرهم الذاتية، وذكر بحوثهم وكتاباتهم وردودهم على اليهود والنصارى باستعمال مناهج المقارنة، والمناقشة العقلية والاستدلال على بطلان الدليل من التوراة والإنجيل نفسيهما وهي نفس المناهج التي اعتمدها المعاصرون من أمثال موريس بوكاي، وديدات، وغيرهم كثير، وقد ركّز على من ليسوا محلّ جدل من أمثال: السموءل بن يحي المغربي في" إفحام اليهود "، وسعيد بن يحي الإسكندراني في "مسالك النظر في نبوة سيد البشر". وعلي بن ربّن الطبري في كتابه القيّم "الدّين والدولة في إثبات نبوة نبيّنا محمد صلّى اله عليه وسلّم " وهو في اعتقادي أقدم ما أُلّف في هذا الفن قبل موسى بن ميمون، وابن كمّونة اليهودي، والسموءل، والأورشليمي، وابن القيّم والقرافي

[5]- وهي بعنوان: مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، جزءان، الطبعة 1، 1997م، دار الفرقان، الرياض.

وابن تيمية وصاحب الفارق بين المخلوق والخالق، وطبع مرّة واحدة سنة 1981م بصيدا لبنان، وقد درس أيضا نصر بن يحي المتطبب في كتابه "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملّة النصرانية" وابن كمُّونة اليهودي صاحب كتاب: "تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث"، وموسى بن ميمون القرطبي في كتابه الشهير (دلالة الحيارى). وذلك لأنهم ظلُّوا دائما محلّ جدلٍ لدى القدامى والمحدَثين، إلاَّ أنّ صاحب الأطروحة ذكر في مقدّمته كتعريفٍ لمفهوم أهل الكتاب شرطين أساسيين لمسمّى هذا المفهوم، قال في المقدّمة:[6]

(شهدت الساحة الإسلامية منذ فجر الرسالة تحولا مباركا نحو الإسلام من أبناء الأمم الأُخرى، وكان لأهل الكتاب من ذلك النصيب الأوفر؛ إذ يمثلون أغلبية سكان المناطق المجاورة للمدينة المنورة، البلدة التي انطلق منها نور الإسلام نحو الآفاق).

وحيثُ إنّ اليهود والنصارى لايزالون يحتفظون بكتب دينية منسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام ؛ فكان إسلام العالم منهم في فجر الرسالة يعدُّ تحولا إيجابيا يحسب في صالح الإسلام ولما لهذا التحول من ثمار ملموسة في مجال الدعوة والمقارنة والمجادلة فقد خصصت هذه الدراسة المتواضعة لدراسة ثُلّةٍ من هؤلاء المهتدين في الماضي والحاضر، ولم يكن هذا الاختيار عشوائيا بل عمدت إلى وضع بعض الضوابط التي تحدّد من ينبغي أن تشملهم هذه الدراسة، وهي: ــ

1- أن يكون المهتدي عالماً بدينه قبل إسلامه.

2- أن يؤلف بعد إسلامه كتابا في نقد دينه أو في نصرة الإسلام وتأييده

ثمّ وجدت أنه يندرجُ تحت هذه الضوابط جمٌّ غفيرٌ من هؤلاء المهتدين، وليس في الإمكان الإحاطة بهم ؛ فرأيت أن أقتصر منهم على مجموعة مشتهرة تمثل هذه الطائفة المهتدية في الماضي والحاضر، ولعلّ أسباب اقتصاري على هؤلاء تنحصر في: ــ

---

[6] – مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، ج1، ص113–114، ط1، 1997، دار الفرقان، الرياض .

1- أن هؤلاء الأشخاص الذين تمّ اختيارهم كانوا هم الرواد في هذا المنهج، بل هم طلائع التصنيف والتأليف في هذا الباب أعني الرد على أهل الكتاب من قِبل أهل الكتاب.

2- أنّ مؤلفات هؤلاء الرواد استغرقت قضايا النزاع بين المسلمين وأهل الكتاب.

وعليه فقد يتفق معي في أنّ مسلمي أهل الكتاب هم الذين "كانوا عالمين بدينهم قبل إسلامهم "، وهذا الشرط متوفّرٌ في تميم الداري موضوع الدراسة، أما الشرط الثاني فلا يمكن تحصيله هنا لأننا نتكلم في هذا الموضوع عن تميمٍ كنموذج، وهو وأمثاله مصادر أصيلة لا يمكن الاشتراط فيهم أن يُؤلّفوا لأنّ التدوين والكتابة لم يكن على عهدهم، ثم هم كانوا الرعيل الأول ولم يكن على عهدهم هذا النوع من الردود والمساجلات، بل صادف أن كانوا أحبارًا وأصحاب أديرة، ورؤساء في دينهم ثم إنهم جاؤوا معاصرين لمجيئ الإسلام، فلا يمكن لعاقل أن يطالب بحيرة الراهب أو كعب الأحبار بتدوين مشاهداتهم في كتب، اللّهم إلاّ الروايات التي يروونها شفوياً.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤلفين في هذا الشأن قد أطلقوا على أهل الكتاب اسم أهل الذّمة"[7]

اليهوديّة:

أورد الشّهرستاني في الملل والنَّحل أنّ[8]:

اليهودية من هادى الرجل أي تاب، لقول موسى (إنّا هدنا إليك)، وكتابها التوراة، وهو أسفار: السفر الأول منها في التكوين وبدء الخلق، والأسفار الأخرى للأحكام والحدود، والامثال والقصص والمواعظ والأذكار.

وبجانب هذا الكتاب المقدس يوجد (التلمود)، وهو عبارة عن مجموع شروح إنسانية له توفر عليها بعض علماء اليهود.[9]

---

[7]- منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لمؤلف معربي مجهول في القرن 11هـ، ت: داود علي الفاضل، ص 7.

[8]- معجم ديانات وأساطير العالم، ج2، ص245.

والدين اليهودي يختلف اختلافا بيّنا، من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه عن أكثر الأديان التي نعرفها، فهو مجموعة من العقائد والشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق، لم تنزل على رجل واحد، إذ إن تاريخ النبوة في إسرائيل يواكب التاريخ الاجتماعي والسياسي لتلك المجموعة البشرية، منذ مجاهل التاريخ الأولى إلى بداية القرن الرابع قبل الميلاد، عند المثقفين من اليهود في التزام النقول المدونة في النصوص المقدسة، وإلى ما بعد ذلك بقرون عند غير الملتزمين، ممن يرون في الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين: دانيال، واستير، وعزرا وكميا، وملاكي، استمرارا للوحي والنبوة في هذا المجتمع[10].

ويظل باب النبوة مفتوحا عند مؤرخي الفكر الإسرائيلي ليدخل منه أنبياء أنكرهم اليهود وكفروا بهم، من أمثال يوحنا المعمدان (النبي يحي)، والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، بل إن كثيرا من العلمانيين اليهود يبقون باب النبوة هذا مفتوحا حتى القرن العشرين ليدخل منه تيودور هرتسل أيضا[11].

والمرجع الوحيد للتاريخ الإسرائيلي القديم حتى بداية القرن التاسع عشر هو العهد القديم، وهو المرجع الأول، ولتاريخ الشرق الأدنى القديم كله، ومع الطفرة الهائلة التي تمت في ميدان الحفائر والاكتشافات الأثرية في هذه المنطقة[12] وبفضل النجاح في قراءة كتابات قديمة كانت طلاسم وألغاز حتى هذا الوقت، كالكتابات الفرعونية: الهيروغليفية، الهيراطيقية، ثم الديموطبقية، والكتابات المسمارية في العراق وما جاورها: الشوميرية والبابلية، والآشورية، والكلدانية، والفارسية الأخمينية، والحثّية، والكنعانية المسمارية برأس الشمرة القريبة من اللاذقية، بفضل كل هذا وبفضل ما لحق به من نصوص أميط اللثام عنها عن الفينيقيين

---

[9]- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، د. محمد البهي ص61، ومعجم ديانات العالم، ج3، ص294.

[10]- الفكر الدّيني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص5.

[11]- المرجع نفسه، المقدمة، ص5 و6.

[12]- المرجع نفسه، ص9.

بلبنان والقرطاجيين والآراميين والأدوميين بالأردن، ونقوش العرب في شبه جزيرتهم[13] بدأت أضواء جديدة-علمية يقينية، وتاريخية جديرة بالاعتبار- تزاحم المأثورات الشعبية، والعنعنات اليهودية، وتنازعها حق القيادة والتوجيه فيما يتصل ببداية الفكر الإنساني والحضارة في هذه المنطقة، وساعد في ذلك نزعة تحرر من سلطان الكهنوت، وسيادة الكنيسة وازدهار القوميات السياسية في أوروبا الحديثة، ومع الثورة الاقتصادية والعلمية التي ما تزال انفجاراتها تتوالى، من هنا أحس الباحثون على اختلاف نزعاتهم ومللهم وعقائدهم، بضرورة إعادة النظر في كل المرويات الإسرائيلية التي كانت المعتمد الوحيد المسلّم به بدون مناقشة على مدى أجيال وأجيال من التاريخ.

المسيحية :

لقد كان السيد المسيح عليه السلام يعلن التوحيد، وكان يعلن أنه عبدا لله ورسوله، وكان يعلن أنه بعث لخراف بني إسرائيل الضالة، وأنه محدد في رسالته لبني إسرائيل، وكانت دعوته قائمة على التوحيد وهمه أن يدعوا إلى الخلق الكريم والمحبة والرحمة والتعاطف، ولم يدخل قط في تفاصيل العقائد، ولم يتحدث عن شريعة، شأنه شأن أنبياء بني إسرائيل[14]- فيما عدا موسى عليه السلام- الذين لا شأن لهم بحديث عن عقيدة أو شريعة، بل عن التوحيد والخلق الكريم، وفي هذا يتلخص جوهر دعوة عيسى عليه السلام، أما المسيحية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها- في نظر أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس الأستاذ شارل جنيفر- غريبة وبعيدة عن رسالة السيد المسيح عليه السلام، ولقد بيّن شارل جنيفر في كتابه" المسيحية نشأتها وتطورها" أن المسيحية بدأت[15] الانفصال منذ أن دخلها القديس بولص[16]، وبيّن أن عقيدة بنوّة المسيح إنما كانت أثرا لخطأ في ترجمة كلمة (عبد الله) التي رددها السيد المسيح مرارا، فما كان أمام

---

[13]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[14]- المسيحية: نشأتها وتطورها، شارل جينيفر، ت: عبد الحليم محمود، ص7.

[15]- المرجع نفسه، ص 8.

[16]- المرجع نفسه، ص9، ومعجم ديانات العالم، ج1، ص 106 و107.

القديس بولص إلا أن يترجمها بكلمة "طفل" أو"خادم"، فاختار بولص كلمة (طفل)، (طفل الله) وكان لذلك تغيير هائل في المسيحية، وفي الفكرة الدينية عن صورة الإله في الفلسفة عامة وفي المسيحية خاصة.

ومن المعلوم أن الصورة المثالية عن الألوهية هي الصورة التي تتسم اتساما تاما بالكمال، وهي الصورة التي رسمها الفلاسفة المؤهلون: أفلاطون، أرسطو وغيرهما.

كما نفى المؤلف عن المسيح القول بالتثليث: هذا القول الذي لا يفهمه المسيحيون أنفسهم.

قال الشيخ: عبد الحليم محمود في تقديمه لكتاب المسيحية لشارل جنيفر: إن الثلاثة ليست واحدًا كما يقولون، وإنّ الواحد ليس ثلاثة كما يقولون، وأيّ عقل يمكنه أن يفهم أنّ الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة.[17]

سيرة تميم الداري :

ترجمته:[18]

قال الذهبي في سِيَر أعلام النبلاء[19]: (تميم الداري[20] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو رقية، تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة، اللّخمى، الفِلَسطيني.

والدار: بطن من لخم، ولخم: فخذ من يعرب بن قحطان.

وفد تميم الداري سنة تسع، فأسلم، فحدّث عنه النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر بقصة الجسّاسة في أمر الدجّال ولتميم عدة أحاديث وكان عابدا، تلاّءًا لكتاب الله.

حدّث عنه: ابن عباس، وابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، وكثيُر بن مرة، وعطاء بن يزيد الليثي، وزرارة بن أوفى، وشهر بن حوشب، وآخرون)

---

[17]- معجم ديانات وأساطير العالم، ج1، ص149 و150.

[18]- أخذتها من 27 مصدرا.

[19]- سير أعلام النبلاء، شمس الدّين الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، ج2، ص442-448.

[20]- لُبُّ اللّباب في تحرير الأنساب، السيوطي، ت: محمد علد العزيز، ج1 ص153.

قال ابن سعد[21] هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدي ابن الداربن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن كعب وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه أخوه نعيم بن أوس فأسلما وأقطعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حبرى وبين عينون بالشام غيرها، وصحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان، وكان تميم الداري يكنّى أبا رقية.

قال البخاري[22] هو أخو أبي هندٍ الداري، وكذلك قال ابن سعد نقلا عن ابن لهيعة[23] وأورد البخاري في الموضع نفسه في باب التاء تحت رقم 2016 في ترجمة تميم حديثا بسنده، عن المقداد بن الأسود الصحابي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يبقى على ظهر الأرض نحوه – أي تميم–)، وقال ابن سعد: كان وفد الداريين عشرة، فيهم تميم[24].

قال ابن جريج: قال عكرمة: لما أسلم تميمٌ، قال: يا رسول الله، إن الله مُظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال "هي لك" وكتب له بها.[25]

قال فجاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال: أنا شاهدُ ذلك فأمضاه[26] وذكر الليث أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال له: (ليس لك أن تبيع) قال: فهي في يدي أهله إلى اليوم.

قال الواقدي: ليس للنبي صلى الله عليه وسلم قطيعة سوى حِبرى، وبيت عينون أقطعهما تميما وأخاه نعيما، وعند ابن سعد[27]: وقال تميم: لنا جيرة من الروم لهم قريتان

---

[21]– الطبقات الكبرى، محمد ابن سعد، ج7 ص408 و409 و422.

[22]– التاريخ الكبير للبخاري، ج2، ص150 و151.

[23]– المصدر السابق، ج7، ص422.

[24]– المصدر نفسه، ج7، ص408.

[25]– سير أعلام النبلاء، ج2 ص433.

[26]–الأموال ن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم نص349.

[27]– الطبقات، ج1 ص344.

يقال لإحداهما حبرى، والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي، قال فهما لك، فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك، وكتب له كتابا، وأقام وفد الداريين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوصى لهم بحاد مائة وسق.

شخصيّة تميم:

ولعل أصعب ما يمكن تحليله في علم الإنسان الثقافي "دراسة الشخصية"، لأن تحليل تركيب الشخصية[28] يجب فيه عزل مكونات الشخصية أي بين سائر جوانبها وأجزائها وهذا العزل صوري تستلزمه الدراسة[29]، وهو أصعب ما يكون إذا كانت الشخصية المدروسة من الشخصيات التاريخية والتي تتمتع بطابع القداسة كون تميم الداري من علماء الكتابين- النصرانية واليهودية- والمعلومات عنه لا تكاد تكون وافية إلى درجة تحليل تركيب شخصيته، والإلمام بأجزائها وجوانبها، إلا إذا كانت عن طريق محاولة جمع المعلومات من خلال ترجمته ورواياته معا.

وقد عني الأمريكيون بوجه عام بعلم الإنسان الثقافي ودراسة الشخصية أكثر من نظرائهم البريطانيون، ورأو فيه مجالا للاهتمام ينصب خاصة على النظام الاجتماعي[30] فحسب، وكثير من الدراسات الأمريكية في علم الإنسان أقرب إلى علم الثقافة المقارن، والوقائع التاريخية في ذكر شخصية تميم صاحب الثقافتين محدودة جدا مما يصعب دراستها في إطار علم الثقافة المقارن، وفي استخدام (ليفي ستروس) لمصطلح إحصائي له مغزاه، فالذي يحدث في الواقع المحسوس يمكن إخضاعه للتقدير الكمي، بخلاف الحال مع المعلومات من أنواع أخرى، كالعقائد والقيم الخلقية، فهي لا تخضع لذلك، وهذا يبرر إلى حد بعيد الإشكال الذي ذكرته آنفا، ولذلك فإن الأنثربولوجية المعاصرة مطالبة بما هو أكبر

---

[28]- الشخصيّة، ريتشارد لازاروس نص137، 175، و188.

[29]- الأنثروبولوجية العامّة، ص513.

[30]- الدّين والبناء الاجتماعي، ج2ص34.

من وصف سلوك البشر وأنواعه، أو استخدام منهج الإحصاء فيه، وهو ما حدا عالم الإنسان الأمريكي "روبرت ردفيلد" إلى فكرة تطوير ما يسمى بـ (الثقافة الشعبية).[31]

ولعل من الواضح أن تميما الداري وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأحد حواريّيه، ولا عجب فإن لكل نبي حواريّوه، فكما للمسيح حواريّون فإن لموسى عليه السلام أخاه هارون، ويجوز في حق الحواريين ما يجوز لأنبيائهم من تعظيم وتقدير، لأنهم الخلصاء المقربون منهم، وقد جاء تميم الداري-كما سيأتي في قصة الجساسة- في وفد الداريين مبايعا النبي، والقصة بتمامها في كتب السير والمغازي، وكتب الحديث مشفوعة برواية الجساسة، وقد حكا للنبي صلى الله عليه وسلم عن رحلة بحرية ضاع فيها برفقةٍ معه فرماه البحر إلى جزيرة حدثت له فيها أعاجيب عن الجساسة والمسيح الدجال، فحكاها للنبي وأصحابه والنبي يصدقه، كما أن في القصة تصديقا للنبوة الخاتمة، وأخبار عن حوادث الزمان وجغرافية فلسطين، فكانت الوفادة سببا في إسلام تميم والوفد المرافق له، وزيادةٌ في تصديق النبوة، بأخبار يرويها أحد علماء النصارى-وهو تميم- وهو عارف بها وبأمارات النبوءات، ومن مناقب تميم كما قال ابن عبد البر في الاستيعاب[32] والحافظ المزي في تهذيب الكمال[33] بأن النبي روى لتميم حادثة الجساسة وهو منقبة شريفة جدا، وقال ابن عبد البر: "وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار" يقصد أن القاعدة هي رواية الأصاغر عن الأكابر، كالتابعين عن الصحابة، والصحابة صغارهم عن كبارهم، وكبار الصحابة عن النبي، فكان لتميم شرف أن يروي عنه نبي.

وقد ذُكر في تعريف الشخصية في الاتجاه الثاني، تعريفات تؤكد على الطابع المميز للشخصية بمعنى أن الشخصية هي كل ما ينفرد به الشخص عن غيره، فهي تقابل التميز والفردية أو الإنفراد، ويصدق هنا تعريف ماركيوس "كل ما يفترق به الفرد في تصرفاته وسلوكه عن كل ما يحمله في ذهنه من ميول حضارية أساسية"، وتصح في هذه الحالة أيضا

---

[31]- المرجع نفسه، ج2ص56.

[32]- الاستعاب في معرفة الأصحاب، ابن علد البرّ الأندلسي، ج1ص270.

[33]- الكمال في معرفة أسماء الرّجال، للحافظ المزّي، ج4ص326.

التعميمات التي وضعها كلوكهون، فتميمٌ الباحث عن الحقيقة وأحد أهم علماء النصارى المنصفين الذي توصلوا إلى حقيقة النبوءة الخاتمة بالبحث والدرس، فكانت له فرصة الرحلة البحرية والالتقاء بأحد أهم شخصيات القيامة الكبرى وهو الدجال، ومعلوم أن قصة الدجال وفتنته ودوره في أحداث ما قبل القيامة متواترة عند أهل الكتاب اليهود والنصارى والمسلمين، ثم إن تميما بناءا على قصة وفوده مع وفد الداريين يبدو أنه كان عازما على اعتناق الإسلام، لأنه لم يأتي مستفتيا ولا ممتحنا النبي وإنما جاء قاصًّا لحادثة، والحادثة فيها إخبار عن النبوة الخاتمة وعن أحداث مرافقة لها كبحيرة طبرية ونخل بيسان، وخروج النبي الخاتم، وفهمه من إخبار الدجال له عن هذه الحوادث أن المقصود هو خروج النبي الخاتم الذي يعني للدجال قروب انعتاقه من الأسر مما يدلل على صدق النبوة الخاتمة.

فتكونت بذلك لتميم شخصية مسيحية إسلامية نادرة وباعثة للتأمل، لأنه وبعد إسلامه مباشرة ظل متمسكا بماضيه المسيحي وذلك لأنه طلب من النبي إقطاعه حبرى وبيت عينون، وحبرى هي اليوم ما يسمى بـ "الخليل" وهي تعني الكثير للمسيحيين والمسلمين معا؛ وقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير[34] قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يبقى على ظهر الأرض نحوه)، وقد طلب من النبي أن يهب له قريته في بيت لحم والتي هي حبرى- الخليل- وبيت عينون فوهبهما له واشترط عليه أن لا يبيع القريتين، وقد كتب أبو بكر في خلافته كتابا لتميم صدَّق له على وثيقة الإقطاع على حبرى وبيت عينون، وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أمضى على وثيقة الهبة تلك، وقد ذكر الواقدي أن تميمًا لا يملك غيرهما، كما أنه أحد أربعة جمعوا القرآن في عهد النبوة، وأحد أربعة كذلك ختموا القرآن في الكعبة المشرفة، ومناقبه كثيرة سبق ذكرها في ترجمته.

ولا تذكر الوثائق التاريخية البيئة المسيحية لتميم سوى أنه من علمائها، وقد أكد كلوكهون على العناصر الاجتماعية، الفيزيقية والبيئية الحضارية في تشكيل سمات

[34]- التاريخ الكبير، للبخاري، ج2 ص150 و151.

الشخصيات، كما أن كلوكهون ذكر قولا في بناء الشخصية قال[35]: "في البدء كان الكائن العضوي أولا ثم البيئة".

فنحن هنا لسنا بصدد تحليل بيئته ولا مراحل حياته لأنها مختصرة في كونه من علماء النصرانية، أي رؤسائها ومجتمع بيت لحم من أصفى المجتمعات المسيحية لأنه المهد الأول للمسيح وحواريوه ومنبع المسيحية الأولى بلا شك، لاسيما وأن تميما كان من أصول فلسطينية، والعهد الأول بينه وبين المسيح لا يزيد عن الخمسة قرون، بل أقل من ذلك إذا حسبنا وفاته سنة 40 للهجرة، أي أن وفاته لم تتأخر كثيرا عن البعث والنبوة، كما أنه لما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان كبيرا كفاية كونه أحد علماء النصارى وله كل تلك التجارب، وقد بنيتُ هذه النتيجة بناءا على ما جاء في تاريخ ابن معين[36]، وتاريخ خليفة بن خياط، والحاكم في كُناه، وأبو نعيم الأصبهاني، وآخرهم المزي في تهذيب الكمال[37] من أنه هو أخو أبو هند زوجة أبو سفيان أي أنه عمها غير الشقيق، مما يعني تقدمه في السن، أي أن خمسة قرون ليست بشيء في عمر الحضارات وتاريخ الأديان، فمؤكد أن تميما قد وضع يده على أصفى مصادر المسيحية الأولى، وعاش في أنقى مدنها المقدسة- بيت لحم- ولما كان ذلك كذلك فإن المجتمع هو الحافظ الأمين لثقافته وتراثه، ومن الضروري[38] أن تمتاز الثقافة إلى جانب خاصية التراكم إلى خاصية الانتقال، كما لها خاصية التكيف، فثقافة تميم المسيحية سمحت له مع تراكمها وسماحها له بأن يصل إلى أعلى درجاتها القيادية، إلى ينتقل إلى مسلم ومن أكابر الشخصيات الإسلامية، بل وفي حضرة النبي وصحبه، وقد ينفعل المجتمع والفرد بالثقافة الطارئة حين تبدأ عمليات الصراع بين ثقافات أصيلة وأخرى، دخيلة[39] وينبغي تفهم الشخص كما يعيش في ثقافته، وتميم "صحابي" جليل، وعابد،

---

[35]- الأنثروبولوجية العامة، ص513.

[36]- تاريخ ابن معين، ج1ص8.

[37]- تهذيب الكمال، ج4ص326.

[38]- الأنثروبولوجية العامة، ص533.

[39]- المرجع السابق الجزء والصفحة نفسيهما .

وعارف بأسرار النبوءات، ورأس في المسيحية والإسلام معا، عاش مسيحيا، وانتهى به الأمر صحابيا، بل من أكابرهم، وأكثرهم علما وتعبدا بدليل ما ذكر في مناقبه، ومتمسكا بأرضه- بيت لحم وبيت عينون- كما مات على ملة الإسلام، وهو يشير إلى أنه لم تكن فكرة الصراع قائمة آنذاك، لاسيما وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما اقتضت سياستهما إمضاء عقد الملكية لأرض مسيحية ولرجل كان مسيحيا، ولكن بصفته مسلما، وهو أمر بالنسبة إليهم لا يشكل عائقا وإشكالية فكرية مما يدل على المستوى الفكري والحضاري الذي كان سائدا آنذاك برغم ما عرف في عهد عمر من فتح إيلياء بين المقدس وما دار حولها من مشاحنات، فإن يكن حوار الحضارات مبينا على هذه القواعد غير الإقصائية وإلا فمآله الفشل والضمور والاضمحلال.

ومن أهم العناصر التي ساهمت في بناء ثقافة تميم الشخصية "اللغة"، لأن اللغة هي التي بواسطتها تجمع وتسجل الثقافة[40] وتميم من بني عبد الدار حملة اللواء، أصوله عربية، لسانه عربي ونشأته مسيحية، وكونه رِبِّيًا لم يصعب عليه الانتقال بثقافته إلى أخرى لم تكن أصلا غريبة عنه، خلا أن المتغير هو دينه والثابت لسانه، وأنا أعتقد أن تميما كان يملك القدرة الكاملة على إنتاج ثقافة جديدة، وذلك متجذر فيه، في سلوكه الاجتماعي، وفي تكوينه الفردي مما سهل عليه أن يكون عالما نصرانيا متفردا عن غيره، باحثا عن الحقيقة متقبلا لها دون النظر إلى مآلاتها، ودون تأثير النظرة التقليدية إليه، المستغربة لأن يكون المعتنق لدين خاتم الأنبياء هو عالم بالنصرانية أو اليهودية، وهذا يؤكد أن السلوك الاجتماعي أقدم من الثقافة[41].

ولقد كتب "ج.ر.فيرث" أن مالينوفسكي[42] اعتبر اللغة أسلوبا من أساليب الفعل وليست مجرد دليل على وجود الفكر- على اعتبار أن اللغة هي مفتاح المجتمع ومدخل الثقافة، كما أعلن "فتجنشين" أن الوصول إلى باطن ميثولوجيا فكر الشخص يتم عن طريق

---

[40]- الأنثروبولوجية العامة، ص27.

[41]- المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسيهما.

[42]- المرجع السابق، ص478

معرفة المعاني التي تحملها لغته، حتى يتم الكشف عن تراثه الفكري القديم، والسيد تميم الداري رضي الله عنه لما اشتهى الحصول على مدائنه في الأرض المقدسة إنما استعمل لغة غاية في البساطة يعبر بها أي مواطن عادي يطلب عطية من حاكم أو جهة حكومية، وهو إنما طلب مسلم دخل الإسلام بعد لحظات وأراد أن يحافظ على تراثه المسيحي العتيق ببيت لحم، فطلب ذلك بلغة بسيطة لا لبس فيها وكان له ما أراد من اشتياقه لأرض نشأ فيها.

قائمة المصادر والمراجع

1) الشخصية وسماتها، د. عبد المنعم الميلادي، الطبعة الأولى 2006م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.

2) السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، د. إبراهيم محمد السرخسي، الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م، وزارة الإعلام والثقافة، مصر.

3) مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، رسالة دكتوراه، للدكتور محمد بن عبد الله السحيم، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م، دار الفرقان، الرياض، السعودية .

4) منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لمؤلف مغربي مجهول في القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق: داود علي الفاضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1982م، 1402هـ.

5) معجم ديانات وأساطير العالم، أ.د إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون تاريخ طبع.

6) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، د.محمد البهي، دار الفكر، بيروت، 1979م.

7) الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الرابعة 1420هـ.

8) المسيحية: نشأتها وتطورها، شارل جنيفر، ترجمة: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.ط.

9) محاضراتٌ في النصرانية، محمد أبو زهرة، شركة الشهاب الجزائر، د.ت.ط.

10) بذلُ المجهود في إفحام اليهود، للحكيم السموءل بن يحي بن عباس المغربي المتوفى عام 570هـ، من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه، تقديم وتعليق: عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1989م.

11) المسيحيّون الأوائل، تأليف: إبرهارد أرنولد، تقديم: نيافة الحبر الجليل: الأنبا أنطونيوس مرقس، أسقف عام شؤون أفريقيا، مكتبة المنار، القاهرة، ط1، مايو2000.

12) الأساس للزمخشري، نسخة إلكترونية.

13) الإسلام والمسيحية: د. أليكسي جورافسكي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 215، نوفمبر 1996.

14) الدين، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م.

15) سيّر أعلام النبلاء، شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت748هـ-1374)، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1406هـ-1986م.

16) لُبّ اللّباب في تحرير الأنساب، للسيوطي، تحقيق: محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.

17) الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت، د.ت.ط.

18) التاريخ الكبير للبخاري (ت256هـ-869م)، دار الكتب العلمية، د.ت.ط.

19) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد ابن جرير الطبري (ت310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1398هـ-1978م.

20) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (630هـ-711هـ)، تحقيق مأمون الصاغرجي وآخرون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م.

21) الشخصية: ريتشارد لازاروس، ترجمة: د. سيّد محمد غنيم، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1989م.

22) الدين والبناء الاجتماعي، محمد توفيق نبيل السمالوطي، دار الشروق، جدّة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1981م.

23) الأنثروبولوجية العامة، د. قباري محمد إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية 1971.

24) الأنثروبولوجية الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية بمدينة دربون الأميركية، د. عاطف وصفي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة 1971